

أزمة الحداثة من منظور إدغار موران

The Crisis of Modernity from Edgar Morin's Perspective

نورالدين الشابي

جامعة السلطان قابوس

Chebbi_noureddine@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2022/12/31

تاريخ القبول: 2022/11/19

تاريخ الاستلام: 2022/09/07

ملخص:

لقد اتخذ التفكير في الحداثة في البداية شكل التأسيس، وذلك بتحديد السمات المميزة للحداثة، كرفية للعالم، أساسها الإيمان بالعقل والحرية وقدرة الإنسان على التقدم. ولكن، بعد هذه المقاربة التأسيسية، ظهرت لاحقا مقاربات نقدية للحداثة تشخص حدودها وتناقضاتها. ومن بين هذه المقاربات وجهة نظر الفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسي إدغار موران الذي يتحدث عن أزمة عامة تعرفها الحضارة الراهنة. ويهدف هذا البحث إلى معرفة مدلولات عبارة "الأزمة" ومظاهر هذه الأزمة وأسبابها وكيفية التفكير في السبل الممكنة للخروج منها. وقد استخدم الباحث منهجا وصفيا مكن من تعريف أسس الحداثة ثم نقد هذه الأسس من منظور موران.

كلمات مفتاحية: الحداثة، التقدم، أزمة، التعقيد، التضامن.

Abstract:

Thinking about modernity, at the beginning, took the form of foundation, by defining the characteristics of modernity, as a vision of the world, based on belief in reason, freedom and human ability to progress. However, after this foundational approach, critical approaches to modernity emerged later, diagnosing its limits and contradictions. Among these approaches is the viewpoint of the French philosopher and sociologist Edgar Morin, who talks about a general crisis in the current civilization. This research aims to know the meanings of the concept "crisis", the manifestations of this crisis, its causes, and how to think about possible ways to get out of it. The researcher used a descriptive approach that enabled

him to define the foundations of modernity and then criticize these foundations from Moran's perspective.

Keywords: Modernity, Progress, Crisis, Complexity, Solidarity

1. مقدمة

يُعتبر إدغار موران (Edgar Morin) أحد أهم مفكري القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين. وتعلق كتاباته بجوانب كثيرة من الفكر مثل الفلسفة والسوسيولوجيا وعلوم التربية والفن. ولكتاباته بُعد نقدي واضح يحوّل "البدايات" الزائفة، بخصوص الواقع، إلى مشكلات انطلاقاً من أن "مشكلة الواقع تكمن في أننا نعتقد أننا نحسن فهمه، والحال أنه لم يُدرك جيداً في الحقيقة" (Morin, 1921)، خاصة عندما يتعلق الأمر بمسألة الحداثة. حيث يتحدث موران، في كتابه "هل نسير نحو الهاوية؟"، عن "أزمة الحداثة" (موران، 2012: 25)، وعن "الأزمة التي باتت تتخبط فيها حضارتنا" (موران، 2005: 39). كما يتحدث، في كتاب "عنف العالم"، الذي اشترك في تأليفه مع جان بودريار، عن "الأزمة الكوكبية" للحضارة الراهنة" (موران، 2005: 73). وينبّه، في كتابه "إلى أين يسير العالم؟"، إلى "دوامة الحاضر" (موران، 2009: 20)، وإلى أن "الأزمة قد أصبحت هي نمط وجود مجتمعاتنا" (موران، 2009: 25). ولا يكتفي موران بتشخيص أزمة الحداثة بل يفكر في تحولاتها المرتقبة ومآلاتها المستقبلية.

- فأي معنى للحداثة من جهة المفهوم والأسس؟

- وبأي معنى يتحدث موران عن "أزمة للحداثة"؟

- وما هي تحولات الحداثة المرتقبة مستقبلاً؟

2. مفهوم الحداثة وأسسها

1.2 مفهوم "الحداثة": يقدم إدغار موران تعريفاً للحداثة من جهة اللغة والاصطلاح. فمن جهة اللغة،

يلاحظ موران، من خلال الرجوع إلى الأصل اللاتيني للكلمة، أن لفظ "Modernus" يدل على "الشيء

الطارئ قريب العهد"" (موران، 2012: 21). ويطرح ذلك مسألة العلاقة بين القديم والجديد، وأيهما الأفضل. ويرى موران أن الفكرة التي ستصبح لها الهيمنة تدريجياً، بهذا الخصوص، هي التي تقوم على "اعتبار الجديد هو الأفضل وأن الحديث، بما هو منتج ونتاج للجدة، هو أفضل ما يوجد"" (موران، 2012: 21). ويعتبر موران أن بداية "الأزمة الحديثة" تاريخياً تظل أمراً "ملتبساً". صحيح أن مقررات التاريخ تعرّف الحداثة من خلال استبعاد العصور القديمة، بحيث تبتدئ "الأزمة الحديثة" بسقوط الإمبراطورية البيزنطية سنة 1453 أو سقوط القسطنطينية، ولكن يظل من المشروع طرح السؤال بخصوص نشأة هذه الأزمة: "ليس هنالك تاريخ معلوم لميلاد هذه الأزمة، فهل هي 1453 أو 1455، مع اختراع المطبعة على يد غوتنبرغ، أم 1492 مع اكتشاف أمريكا على يد كولمب، أم هي 1520 عندما أثبت كوبرنيك أن الأرض ليست هي مركز العالم؟" (موران، 2012: 22). ويميل موران أكثر، في أحد حواراته، إلى أن مولد الحداثة لم يكن تحديداً مع سقوط بيزنطة بقدر ما أن الأمر متعلق بتكامل مجموعة من الشروط: "فيما يتعلق بالحداثة: أرى أنها لا تبدأ مع سقوط بيزنطة مثلما يُكتب في بعض كتب التاريخ، بل هي تظهر مع اكتشاف أمريكا، والإبحار حول العالم. إنها كوبرنيك والنهضة والمصير الاقتصادي لأوروبا ومولد الدول الملكية، إلخ. إنها مجموعة شروط اقتصادية وتقنية واجتماعية وإيديولوجية وفلسفية. إنها تظهر إذن منذ بداية القرن السادس عشر في البلدان الغربية قبل أن تنتشر خارجها" (Guénoun, 2007). وتتسم هذه الأزمة الحديثة بمجموعة من الخصائص:

- أولها، حدوث "انجاس ثقافي عجيب" قوامه تطوير العلم وتجديد الفلسفة (موران، 2012: 22). وهو ما تأكد لاحقاً من خلال إضافات غاليلي ونيوتن وديكارت، سواء في مجال علم الفلك أو الفيزياء أو الرياضيات أو الفلسفة العقلانية.

- وثاني هذه الخصائص أن ما يميز الأزمنة الحديثة "الازدهار الاقتصادي والتجاري ثم الرأسمالي" (موران، 2012: 22). ذلك أن مولد هذه الأزمنة يجد تعبيراته لاحقا في شكل تقدم في المجال الاقتصادي شهد ذروته في المجتمعات الرأسمالية الحديثة.
- وثالث خصائص الأزمنة الحديثة "الغلبة التي صارت لغرب أوروبا على العالم" (موران، 2012: 22). وهي بالأساس غلبة يفسرها التطور الحاصل في مجال المبادلات التجارية والتقدم العلمي المتسارع.
- أضف إلى ذلك أن ما يميز الأزمنة الحديثة تطور "الفردانية" (موران، 2012: 23)، كإيديولوجيا وفلسفة تجعل من الفرد مركز كل اهتمام ومن حق كل فرد في الحرية وتحقيق الذات مبادئ أساسية لكل فعل إنساني. وهي مبادئ سيجسدها لاحقا فكر الأنوار.
- وفضلا عن ذلك فإن من بين سمات الحداثة الأساسية تعارض مكوناتها، وهو تعارض استمر إلى العصور الراهنة، ويظهر صلب العلم والاقتصاد والسياسة والحضارة. حيث أن "العلم المعاصر ينطوي على تعارض" (موران، 2012: 23). ويستدل موران على ذلك بإبستمولوجيا كارل بوبر الذي لا يختزل مهمة العلم في البرهنة وإنما يعطي أهمية أيضا لمبدأ قابلية الدحض. فمنطق الكشف العلمي يقوم على أساس قابلية عباراته للتكذيب والمراجعة، بما يجعل من القول العلمي قولاً مفتوحاً دائماً على إمكان ما يعارضه. أما في المجال الاقتصادي فإن التعارض يظهر من خلال فكرة المنافسة. حيث تلعب المنافسة دوراً كبيراً في كل ما يتعلق بالإنتاج والتوزيع والتبادل ولها دور هام في تجويد البضائع والخدمات، ومن ثم فإن "الاقتصاد يتطور من خلال المنافسة" (موران، 2012: 23). كما تظهر فكرة التعارض في المجال السياسي من خلال صراع الدول القطرية المتواصل. وفي مجال الحضارة يتجلى التعارض في العلاقة بين المادي والفكري. وينبه إدغار موران إلى أن هذه العلاقة قد طُرحت في البداية صُلب الفلسفة الديكارتية التي ميزت بين الفكر والامتداد، فلقد "انطبع الفكر الحديث بانفصال كبير أجاد ديكارت التعبير عنه بين

مجالين باتا يتجاوزان كل المقاييس، ذانكما هما مجال الفكر والذات والفلسفة من جهة، ومجال المادة والامتداد والعلم والواقع التجريبي" (موران، 2012: 24). ثم تعمق هذا الانفصال لاحقا صلب الحضارة الغربية في شكل تعارض بين الفكري والمادي، حيث صار كل واحد منهما يتطور بمعزل عن الآخر. فصار ثمة "ازدواجية قطبية راسخة شقّاها ثقافة النجاح والمال والسلطة من جانب، ومن جانب آخر ثقافة الإحساس والروح والشعر" (موران، 2012: 24).

2.2 أسس الحداثة:

لقد قامت الحداثة، كروية للعالم والإنسان، على جملة من الأفكار الموجهة وأهمها ثلاثة (موران، 2012: 25):

- فكرة "التحكم في الكون، التي قال بها كل من ديكارت وبوفون وماركس"،
- وفكرة "التقدم والضرورة التاريخية التي باتت تفرض نفسها مع كوندورسي"،
- وفكرة "السعادة"، والقول إن "السعادة قد باتت في متناول الأفراد في حضارتنا المعاصرة".

1.2.2 الحداثة والتحكم في العالم:

تُعتبر فكرة التحكم في العالم من الأفكار الموجهة للحداثة، سواء تعلق الأمر بالعالم الفيزيائي أو الحياة أو المجتمع. ففيما يتعلق بالعالم الفيزيائي يذكر موران بأن فلسفة ديكارت قد قامت على التمييز بين "مجال الفكر والذات" من جهة، و"مجال المادة والامتداد"، من جهة ثانية (موران، 2012: 24). حيث أن الوعي بالذات يتقدم على الوعي بالجسم وبالعالم. ويُعد هذا التمييز بين مجال الفكر ومجال الامتداد أمراً ضرورياً للتفكير في سيادة الإنسان على العالم، وهو ما عبر عنه الحلم الديكارتي في أن يصبح الإنسان سيداً للطبيعة ومالكاً لها من خلال الكشف عن القوانين المتحكممة فيها وتوقع ظواهرها والتحكم فيها تقنياً، وهو ما سيتحقق لاحقاً إبان الثورة الصناعية على وجه الخصوص. ولذلك فإن ما تحقق من تقدم تقني خلال

القرن التاسع عشر إنما كان، في جانب منه، نتيجة حتمية لمقدمات الفلسفة الديكارتية وتجسيدا للحلم الديكارتية: "إن نظام ديكارت يقيم أمرا مطلقا هو علاقة تدجين الطبيعة والسيطرة عليها واستئثارها" (ناتاف، 2005: 76).

ومن مظاهر التحكم في الكون التحكم في الحياة، حيث فتحت الفلسفة الديكارتية المجال لا للتحكم في العالم الفيزيائي الجامد فحسب وإنما للتحكم في الطبيعة الحية أيضا، حيث اعتبر ديكارت الجسم أشبه ما يكون بالآلة التي تخضع لقوانين رياضية وقابلة للتفسير الميكانيكي والتوجيه والتحكم. وقد سار علماء أحياء القرن الثامن عشر على خطى هذا التفسير العلمي للحياة، لذلك سعى بوفون، في كتاباته حول "التاريخ العام للحيوانات" و"التاريخ الطبيعي للإنسان"، إلى تفسير الكائنات الحية تفسيرا علميا قائما على الوصف والتصنيف. وقد ذهبت الثورة البيولوجية للقرنين التاسع عشر والعشرين بهذا التصور العلمي إلى حدوده القصوى، فكانت تفاسير داروين ولامارك، ثم التقدم الحاصل في مجال الهندسة الوراثية والتحكم المتزايد في انتقاء السمات الوراثية وعلاج الأمراض وتقنيات الإنجاب الاصطناعي.

ومن تجليات التحكم في العالم أيضا التحكم في المجتمع، حيث يذكر موران بفلسفة كارل ماركس التي قامت على فكرة اعتماد مبدأ التناقضات المادية وصراع المتناقضات داخل أي مجتمع من أجل تحليل تاريخه. إن الصراع بين الطبقات الاجتماعية هو محرك تاريخ المجتمعات البشرية. غير أن هدف ماركس لا يُختزل في تفسير تاريخ المجتمعات البشرية، إنما يتجاوز ذلك إلى تغيير الواقع الاجتماعي للبشر، وهو ما ينبّه إليه ماركس عندما اعتبر أن الفلاسفة قد اكتفوا بتفسير العالم بشق الطرق، إلا أن تغييره هو الأهم. وما تغيير الظروف الاجتماعية والاقتصادية، وإعادة النظر في الملكية الفردية لوسائل الإنتاج، سوى مظاهر للتحكم في المجتمع، وبالتالي في العالم، باتجاه تحقيق العدالة الاجتماعية. ولذلك فإن التغيير هو في الحقيقة تحرير للإنسان من كل ضروب الاستغلال الاقتصادي. إنه "تثوير العالم القائم،

ومهاجمة الأوضاع القائمة وتحولها عمليا" (ماركس وأنجلس، 1976: 34). ويتم ذلك ضمن شروط تاريخية وواقعية: "إن التحرير فعل تاريخي وليس فعلا ذهنيا، وهو يتحقق بفضل شروط تاريخية: تقدم الصناعة والتجارة والزراعة" (ماركس وأنجلس، 1976: 32). وهو ما يعني أن تحرير الإنسان لا يكون على صعيد نظري فحسب، مثل تخليصه من الأوهام والخرافات، إنما الأهم من ذلك تغيير واقعه الاجتماعي عبر التقدم الاقتصادي وتطوير وسائل الإنتاج وملكيته.

2.2.2 الحداثة وفكرة التقدم:

من بين السمات الأساسية للقرن الثامن عشر بروز نظريات التقدم في إطار قراءة جديدة للتاريخ وإعادة النظر في قيمة الماضي. وهو قرن عرف انتشار العقل واتساع التنوير. ومن بين النظريات القائلة بالتقدم في التاريخ نظرية كوندورسي (1743-1794)، ففكرة "التقدم والضرورة التاريخية [هي] التي باتت تفرض نفسها مع كوندورسي" (موران، 2012: 25)، مثلما يظهر من خلال كتابه "رسم لوحة تاريخية لتقدم العقل البشري". والتقدم عند كوندورسي يعني الإقرار بتحرر العقل، وتطور التفاسير العلمية العقلية للطبيعة، وانحسار الخرافة ومقاومتها، وبالتالي الإيمان بأولوية المستقبل على الماضي، وتفوق العلم على الخرافة، وقدرة العلم المتزايدة على تفسير الأشياء، وذلك وفق "مسيرة الإنسانية وخطواتها نحو الحقيقة والسعادة" (Condorcet, 1795: 4). ومن ثم فإن التاريخ عنده ضرب من الحركة التي تتجه باطراد نحو مزيد من قابلية الاكتمال للإنسانية، وهي قابلية لامتناهية، ذلك أن "قابلية الإنسان للاستكمال هي في الحقيقة غير محدودة، وتطور هذه الاكتمالية المستقل، من هنا فصاعدا عن كل قوة تريد عرقلته، هو تطور لا يحده سوى عمر الكوكب الذي أُلقت بنا الطبيعة فيه. ولا شك أن هذا التطور يمكن أن يسلك مسيرة متفاوت في سرعتها، ولكنه لن يتقهقر مطلقا" (Condorcet, 1795: 4).

3.2.2 الحداثة وتحقيق السعادة:

لما كانت الحداثة انتصارا للعلم والعقل ضد الخرافة، ولما كانت قائمة على الإيمان بالعقل الإنساني وقدرة الإنسان اللامتناهية على تحقيق كماله بواسطة الاكتشافات العلمية المتزايدة والتنوير التنامي، فإنها شديدة الإيمان أيضا بقدرة الإنسان على تحقيق سعادته على الأرض، وأن "السعادة قد باتت في متناول الأفراد في حضارتنا المعاصرة" (موران، 2012: 25). وهذه السعادة تتجلى من خلال الرفاهية المتنامية للمجتمعات الحديثة بفعل قطف ثمار التقدم العلمي والتقني التي يسرت شكل وجود الإنسان في العالم. ولذلك تعتبر التقنية أداة لتحرر الإنسان من الضرورة الطبيعية وهذا الشعور بالحرية والسيادة على العالم هور الذي يفضي إلى تنامي الشعور بالسعادة كغاية أخلاقية لهذا التقدم العقني والعلمي.

3. أزمة أسس الحداثة ونهاية أساطيرها الكبرى:

1.3 أزمة أسس الحداثة:

ينبه موران إلى أن كلمة "أزمة" هي من الكلمات الشائعة ومع ذلك من الضروري تحديد معناها: "ينبغي علينا محاولة توضيح لفظ أزمة وهي لفظة فارغة لفرط استعمالها" (موران، 2009: 24). ويشير موران إلى أن لفظ "أزمة" يستخدم في سياقات عديدة: فهناك أزمة التقدم، وأزمة الحضارة، وأزمة المراهقة، وأزمة الزواج، وأزمة العائلة، وأزمة الدولة، وأزمة الثقافة، وأزمة القيم... إلخ (موران، 2009: 24-25). وفي تحديده لمعنى لفظ "الأزمة" يعتبر موران أن الأزمة تظهر عندما تبلغ التناقضات والاحتمالات المتباينة ذروتها. وهو بذلك يوسع من مدلول الأزمة بإضافة هذا المعنى: "نلاحظ أن الأزمة لا تظهر فقط عند حدوث انكسار داخل اتصال، أو عند حدوث زعزعة داخل نسق كان يبدو ثابتا، لكنها تظهر أيضا عندما تتكاثر الاحتمالات وبالتالي التقلبات. إنها تظهر بفعل انقلاب التكاملات إلى عداوات" (موران، 2009: 24).

وتعني أزمة "أسس" الحداثة الارتباب بخصوص وضوح المبادئ الموجهة لها وثبوتها، وهي التحكم في الكون، والتقدم والسعادة، وعدم إمكانية الاستمرار في الثقة المطلقة بها. وفي هذا السياق يذكر موران أن الارتباب بخصوص الأسس هو من سمات فلسفة نيتشه: الارتباب بخصوص القيم ومعانيها وغاياتها: "نحن ندين بشدة إلى نيتشه بإطلاقه تلك العبارة «أزمة الأسس»" (موران، 2009: 27). كما يضرب موران مثالا آخر عن التشكيك في الأسس هو كارل بوبر: فقد "خلص بوبر من نقده للاستنباط إلى القول إن أوتاد العلم موضوعة فوق الوحل وأنه لا وجود لأي أساس" (موران، 2009: 27).

الأزمة إذن هي التشكيك في الأسس، والإقرار بوجود اللابيقين الذي تتوسع ملامحه يوما بعد يوم: عدم وضوح المستقبل، عدم قدرة الإنسان على التحكم الكامل في العالم، وتزايد ضروب الشقاء الإنساني: "كل شيء في هذا العالم يعيش أزمة. وأن نقول أزمة معناه أن نقول إن ملامح اللابيقين تكبر، ففي كل مكان، وفي كل شيء يكبر الغموض. معنى هذا أنه إذا استطاع الأنبياء التنبؤ، وإذا استطاع العرافون رؤية المستقبل، فلم يعد بإمكان المشخصين تكوين رؤية واضحة ولم يعد بإمكان المتكهنين التكهن، فالحاضر في طور الهلاك وكوكب الأرض يحيا ويترنح، يتدحرج ويتجشأ، وهو في حالة فواق وحزاق يومي" (موران، 2009: 41). كما يعني ارتباب موران، بخصوص أسس الحداثة، النظر إليها كمجرد "أساطير": هناك ارتباب بخصوص الأفكار الكبرى الموجهة للحداثة: "لقد طالبت الأزمة أساطيرنا الكبرى: التقدم والسعادة والتحكم في العالم" (موران، 2012: 28). وهو ارتباب في هذه الأسس لما يشوبها من تناقضات، وبسبب استشكال الصيرورة وعدم اتضاح المستقبل، ومن مظاهر هذا الاستشكال حسب موران أن "الأمم المتحدة باتت اليوم عاجزة عن أن تحل لوحدها المشكلات... لقد صارت هي الأخرى في أزمة. لقد دخلنا عهد الاستشكال المعمم ونهاية الأساطير الكبرى" (موران، 2012: 29).

2.3. نهاية أسطورة التحكم في العالم:

ما انفكت الكشوفات العلمية الفلكية تبين شساعة الكون، وأن كوكب الأرض ما هو إلا جزء بسيط من مجموعتنا الشمسية والتي هي جزء بسيط من مجرة درب التبانة، وهذه المجرة واحدة من ملايين المجرات الأخرى. ومن ثم يزداد التأكد من أن تحكّم الإنسان في الكون أمر بعيد المنال أو هو ضرب من الزيف، بل إن تحكّمه في عالم الأرض هو نفسه أمر زائف: "في ما يتعلق بالتحكم في العالم، لقد فقدنا لانهايا زائفا... لقد تبين، من الاكتشاف الجديد، أن النظام الشمسي لا يزيد عن ضاحية صغيرة من العالم، وهذا أدى إلى انهيار كل قول بسلطان بني البشر على العالم" (موران، 2012: 28).

وتُظهر الكشوفات الحاصلة في مجال الميكروفيزياء، وخاصة في مجال الفيزياء الكوانطية، صعوبة التحكم في الألكترونات داخل بنية الذرة، والمشكلات المتعلقة بقيس سرعتها وموقعها في نفس الوقت، وصعوبات توقع حركتها.

كما أن الكشوفات الحاصلة في مجال البيولوجيا تُظهر باطراد صعوبة التحكم في هذا العالم الحيوي، فالجراثيم والفيروسات قادرة على مقاومة أشكال السيطرة عليها، بل يمكنها أن تكسب مزيدا من القوة بفعل أشكال مقاومتها: "ينبغي لنا أن نقلع عن الحلم بعالم يكون لنا التحكم فيه. وقد رأينا كيف أن الجراثيم والفيروسات تدلنا على أنها تخرج وقد ازدادت قوة بفعل تلك الأشياء نفسها التي كان يُسعى بها إلى القضاء عليها" (موران، 2012: 172).

3.3 نهاية أسطورة التقدم:

لقد تمثّل كوندورسي التاريخ كحركة مطردة إلى الأمام وكقابلية للإنسان للاستكمال على نحو لا متناه، وبالتالي فإن التاريخ تقدم منتظم ومستمر نحو الأفضل وهو غير قابل للتقهقر. وقد استمر هذا التصور لعهود طويلة، بل يمكن أن نجد ترجمة له، حسب موران، في أفكار الستينيات من القرن العشرين، حيث ساد اعتقاد بأن "القرن الواحد والعشرين سيقطف الثمار الناضجة لتقدم الإنسانية" (موران، 2009:

10). وفي مقابل ذلك يعتبر موران أن هذا التصور كان مجرد "تفاؤل معتوه" (موران، 2009: 10)، وأن "التقدم أسطورة" (موران، 2009: 69). حيث أن مسار التاريخ ليس مساراً خطياً، وليس هناك أساس ثابت للمجتمعات عليه يُبنى المستقبل، ولا وجود لعامل وحيد مهيم على التاريخ، كما أنه لا وجود لسببية خطية تجعل من المستقبل شيئاً قابلاً للتوقع الصارم: إن "التطور لا يخضع للقوانين ولا لحتمية متفوقة، وهو ليس ميكانيكياً ولا خطياً، ولا وجود لعامل مهيم باستمرار يقود التطور". ذلك أن الواقع البشري واقع مركب من عديد العوامل المتداخلة، وهو بالتالي "متعدد الأبعاد، ويتضمن عوامل ديمغرافية، واقتصادية، وتقنية، وسياسية، وإيديولوجية... وبإمكان بعضها أن يهيمن في لحظة، ولكن هناك تدوير للهيمنة" (موران، 2009: 15). وبالتالي فإن فهم الصيرورة لا يكون بردها إلى عليّة خطية وحتمية صارمة، لأن ما يتطور يخضع لمبدأ متعدد العلل القائمة على التركيب. ومن ثم ليس مسار التاريخ مساراً خطياً واضح المعالم، "فحركة الصيرورة شيء مركب بشكل هائل، والتاريخ يُبدع، وينحرف، ويتميل، وهو غير السكة، ويضل السبيل" (موران، 2009: 16). ولذلك يعتبر موران أن حركة التاريخ "حركة إعصارية"، فيها إبداعات وانحرافات وتبديل اتجاهات وانفصالات ونزاعات وأزمات وانقلابات، وولادة لحالات حرجية ومأزومة، ولذلك لا وجود لشيء يمكن التكهّن به على نحو يقيني (موران، 2009: 17).

ومن ثم فإن أزمة مفهوم التقدم تعني تراجع اليقين بوضوح المستقبل وبقابلية توقعه على نحو صارم. ثمة لائقين بخصوص مالات الصيرورة والتاريخ البشري. ويرتبط مبدأ اللائقين، حسب موران، بسبعينيات القرن العشرين، "فالتقدم الكبير الذي قدمته سبعينيات القرن العشرين هو الاعتراف بمبدأ اللائقين، وهو بالتأكيد المعنى الأول الذي تحمله معها كلمة "أزمة"، أي ظهور اللائقين هناك حيث يبدو أن كل شيء يقيني ومنضبط ومحكم وبالتالي قابل للتوقع" (موران، 2009: 19).

يعتبر موران إذن أن ما حصل في التاريخ، خاصة خلال القرنين التاسع والعشر والعشرين، يشهد على أن مفهوم التقدم يعرف أزمة متنامية: ليس التاريخ مساراً يفضي باطراد إلى الأفضل وإلى السعادة، بل يمكن

أن يفضي أحيانا إلى التقهقر، وما عاد بالإمكان الاستمرار في فهم الأحداث بالاستناد إلى فكرة التقدم الخطي المنتظم، بل هي صيرورة يقتزن فيها الأعلى والأسفل، وهي تحوي الازدهار كما تتضمن الانحطاط: "إن كل تقدم مهدد بالانحطاط ويحمل في ذاته العملية المزدوجة الدراماتيكية للتقدم/التقهقر. إن التقدم هو إذن وجه متقلب من وجوه الصيرورة" (موران، 2009: 34). ومن ثم فإن موران لا يعوض فكرة التقدم بفكرة التقهقر، لأنه إن فعل يكون قد عوض فكرة ساذجة وبسيطة بفكرة لا تختلف عنها في الجوهر، إنما هو يعوض فكرة بسيطة بفكرة مركبة. إنه يعوض فكرة التقدم في اتجاه واحد بفكرة أن الصيرورة مركبة فيها الازدهار مثلما فيها الانحطاط والتقهقر: "لا يتعلق الأمر هنا بتعويض فكرة التقدم بفكرة التقهقر، أي بإحلال تبسيط باتر باخر، بل العكس، يتعلق الأمر بالنظر أخيرا إلى فكرة التقدم على أنها فكرة مركبة. ومن أجل تحقيق ذلك يجب هدم فكرة تقدم بسيط، مضمون، ويسير في اتجاه واحد، والنظر إلى التقدم على أنه متقلب في طبيعته متضمن لتقهقر كامن في مبدئه ذاته، تقدم يعيش اليوم أزمة على مستوى كل مجتمع، وبطبيعة الحال على مستوى مجموع الكوكب" (موران، 2009: 36).

ويستخلص موران من ذلك أنه بات من الضروري التخلي عن فكرة تاريخ خطي يخضع للحمية ويفضي إلى مزيد من الاكتمال: "علينا بالتأكيد أن نتخلى عن فكرة بشأن تقدم يخضع لحمية تاريخية، وكذلك عن فكرة الحتمية المستقيمة بشأن التاريخ" (موران، 2009: 1/257).

ثمة إذن أزمة لمفهوم التقدم، وهذه الأزمة متعددة التظاهرات، فهناك "الأزمة السياسية وأزمة الوعي وأزمة الفكر وأزمة الحضارة، وتتضافر هذه الأزمات مع سائر الأزمات الأخرى فتشكل الأزمة الأرضية الهائلة التي تسير إلى تعمق وتفاحش" (موران، 2012: 170).

فعلى الصعيد السياسي مثلت الحربان الكونيتان الأولى والثانية صدمة للوعي الإنساني، فالإنسان قادر على الأفضل ولكنه قادر أيضا على فعل الأسوأ. وثمة وجوه جديدة للوحشية تؤكد أن "التقدم" الحضاري

لم يقض على البربرية القديمة بقدر ما أنتج وحشية جديدة لها مظهر تقني ومعقلن: "بإمكاننا القول إن الأشكال الجديدة للوحشية، المترتبة عن حضارتنا، لم تفشل في تقليص الأشكال القديمة للبربرية، بل إنها أيقظتها واقتربت بها. وهكذا تبلور شكل جديد من الوحشية، شكل معقلن، وتكنولوجي، وعلمي، يسمح بتدفق قتال حدث مع الحربين العالميتين، بل عمل على عقلنة الاحتجاز في صورة معسكر اعتقال، وعلى عقلنة التصفية الجسدية باستعمال أفران الغاز، وعقلن التعذيب، وهي الوحشية الوحيدة التي بدت في السابق على أنها قد انقرضت في بداية القرن العشرين، ها هي الآن تعيش إعادة إحياء، بل إعادة تأسيس من قبل النازية والستالينية" (موران، 2009: 37). حيث يعتبر موران أن الأنظمة التوتاليتارية كانت تعبيراً حقيقياً عن مأزق الحداثة، سواء كانت "توتاليتارية داكنة" (هتلر- موسوليني)، أو "توتاليتارية حمراء" (ستالين) (موران، 2007: 40). ولئن أحيا الانتصار على النازية فكرة الإيمان بالتقدم من جديد وبمستقبل أفضل للبشرية سواء بواسطة إرساء العدالة الاجتماعية في أوروبا الشرقية أو بواسطة التنمية الصناعية في أوروبا الغربية، فإن هذا الأمل قد انحسر لاحقاً سواء بسبب تفكك الاتحاد السوفيتي أو بسبب مأزق الحضارة الرأسمالية المصنعة: "كيف أمكن لفكرة التقدم أن تصمد للحربين العالميتين الرهيبتين وتقاوم الفاشية والستالينية وتعود إلى الظهور من جديد بعد الحرب العالمية الثانية في ذلك التصور القائل بمستقبل مشرق في البلدان الشرقية وحضارة صناعية متقدمة في البلدان الغربية؟ وقد آل الأمر بهذه الأسطورة إلى التفكك منذ أن كان الانفجار الذي حاق بالاتحاد السوفيتي وما وقع من تلك الظواهر الارتكاسية. وبات المستقبل نفسه اليوم في أزمة، وانتفت كل إمكانية للتكهن. وإن هي إلا فرضيات، بل سيناريوهات. لقد أصبح المستقبل شيئاً مجهولاً" (موران، 2012: 28). لقد فشلت الاشتراكية ولم يكن حظ الليبرالية أكثر توفيقاً. وسبب ذلك أن المجتمعات الغربية الراهنة، حسب موران، قد جعلت ما هو سياسي رهين فهم محدود لما هو اقتصادي حيث تُختزل النظرة إلى الاقتصاد في رؤية ليبرالية تتوحش أكثر فأكثر. لقد "تفاقت أزمة السياسة، ولم يعد من أمل في المستقبل، على أنقاض الاشتراكية المدعوة واقعية، وفي

أزمة الفكرة الثورية وفكرة التقدم، وفي التصلب الذي ناب الاشتراكية الديمقراطية، وفي فكرة الحداثة، تلك الفكرة المضطربة، في حين توجد الحداثة في أزمة، وفي العى الذي أصاب الليبرالية الجديدة التي تزعم أنها بمقدورها أن تحل كل المشكلات عن طريق المنافسة ونظام السوق، وفي نطاق من "يومي" السياسات التي أختزلت في المواءمة وفي الاقتصاد وفي عبادة النمو" (موران، 2012: 165). لقد تم اختزال السلوكيات الإنسانية في ما هو اقتصادي مادي وتم التغاضي عن النواحي الوجدانية والانفعالية وبالتالي الإنسانية: "لقد انحصرت السلوكيات الإنسانية في سلوك الإنسان الاقتصادي الذي لا تحركه غير المصلحة المادية، فيما الأناس يتصرفون هم أيضا بطريقة عاطفية وانفعالية ووجدانية...ومن هنا كان انهيار الفكر السياسي، فهو قد عمي عن توقع الأزمة التي حصلت في الحضارة، وعي عن توقع الأزمة الحاصلة على صعيد كوكب الأرض، وهو عاجز أن يجيء بمقترحات بديلة للأزمة، وعاجز عن صوغ سياسة حضارية وسياسة إنسانية" (موران، 2012: 166).

لقد كان القرن العشرون قرن "الموت الكبير"، حيث قتلت الحربان العالميتان الملايين من البشر، كما قتلت المعسكرات النازية والستالينية الملايين منهم (موران، 2009: 73). وقد استمر القتل بعدهما بأشكال مختلفة، واستمر "العنف المجنون" من خلال "الاحتلال العسكري والهيمنة الاستعمارية"، و"تبشيرية الخلاص الثوري الذي يعتبر أن كل الوسائل مشروعة بفضل الغاية التحريرية" (موران، 2009: 76). كما يظهر جنون العنف من خلال "الشكل التبشيري القيامي المسمى بالإرهابي" (موران، 2009: 77). ومن ثم فإن مسار التاريخ ليس حركة من البربرية نحو التحضر، بل إن "الاتجاهات البربرية توجد بجوار الاتجاهات المتحضرة" (موران، 2007: 17). و "لا يوجد تقدم، بل لعبة مزدوجة حقيقية-حوارية- بين التقدم والتقهقر، وبين الحضارة والبربرية، وبين البناء والتهديم" (موران، 2009/1: 261).

أما على صعيد الفكر فإن من مظاهر أزمة مفهوم التقدم التحولات التي تحدث في مجال العلوم وتأثيراتها على حياة البشر: لقد "بات العلم اليوم يطرح بشقين أساسيين. فهو ينتج معارف جديدة تثور معرفتنا بالعالم وتمدنا بالمقدرات الهائلة لتنمية حيواتنا وتطويرها، لكنه في الوقت نفسه يطور قدرات هائلة للموت، من قبيل الموت النووي، بحكم الانتشار الذي تعرفه أسلحة الدمار الشامل والتراجع الإنساني في حال تواصل تدهور المحيط الحيوي الناجم عن تنميتنا" (موران، 2012: 26). كما تظهر أزمة مفهوم التقدم من خلال اتضاح حدود العلم الحديث: لقد قام العلم الحديث على مبدأي الاختزال والفصل. فلمعرفة مجموع ما ينبغي اختزاله في أجزائه. ومبدأ الفصل يقضي بفصل المعارف بعضها عن بعض بحكم التخصص. غير أن مبدأي الاختزال الفصل أصبحا اليوم عاجزين عن المقاربة الشمولية للأشياء وغير قادرين على استيعاب التعقيد سواء في مستوى المواضيع المدروسة أو في مستوى نوعية المناهج المستخدمة: "هذا العلم افتضحت اليوم الحدود التي يحدّها بها، بحكم أن تلك المبادئ لم تعد تسمح باستيعاب التعقيد" (موران، 2012: 26). ومن ثم فإن العلم يفتت الواقع ويجزؤه عبر تعدد التخصصات: "وإذا كان من الثابت أن العلم ينير الظلمات فإنه في الوقت نفسه يعمي الأبصار، بالنظر إلى أنه لم ينجح بعد في إنجاز ثورته المتمثلة في تجاوز الاختزالية وتجزئة الواقع اللذين تفرضهما التخصصات المنغلقة على بعضها البعض"، فالعلم غير قادر على إعادة تكوين الرؤى الشمولية (موران، 2012: 42). ومع ذلك فإن النظام التعليمي الذي يفصل التخصصات بعضها عن بعض لم يتراجع كلياً بالرغم من محدوديته، ولذلك ينعتة موران بـ "الفكر المهيمن" الذي يعوق الإنسان المفكر عن تبين التعقيد في الظواهر المدروسة: "إن عيوب الفكر المهيمن، الذي يكونه نظام تعليمي يمارس تقسيم المعرفة إلى تخصصات مغلقة ويقتصر عمله على التفرقة والاختزال، قد أدت إلى العجز عن تمثيل العقدة (الجوانب المتعددة والمتعارضة في الظاهرة الواحدة) والإقرار بها والعجز عن معالجة ما هو أساسي وشامل" (موران، 2012: 165-166).

لقد اعتبر منظرو الحداثة أن التقدم التقني كفيل بتحقيق السيطرة على الطبيعة وتحقيق الرفاه للإنسانية، غير أن موران ينبّه إلى أن للتقنية وجهين: أحدهما جيد وهو السعي إلى حسن استغلال الموارد المادية للبشرية، أما الآخر فهو سلبي وهو توظيفها من أجل التحكم في البشر وتوجيههم: "فالتقنية تؤدي إلى الأسوأ كما تؤدي إلى الأفضل. فهي تجعلنا قادرين على التحكم في الطاقات الفيزيكية، كما تجعلنا قادرين على التحكم في الطاقات البشرية. فليس العمال هم وحدهم الذين سخروا لمهام تكرارية ومقننة، بل إن مجموع المجتمع قد أخضع لمنطق الآلة الصناعية القائمة على العقلنة وعلى التوقيت المفرط للزمن، بما أدى إلى رد فعل يتجلى في الميل إلى التهالك على الملاهي والاستغراق في العطل" (موران، 2012: 26-27). وهو ما يفسر -حسب موران- ظهور مرجعيات فلسفية جعلت من نقد العقلانية الحديثة موضوعاً لها، مثلما هو الحال بالنسبة إلى مدرسة فرنكفورت ونقدها للعقل الأداتي (موران، 2012: 27). وهذه النزعة المتفاقمة لهيمنة التقنية على الوجود الإنساني يسميها موران ببربرية التقنية، حيث "تجلب التقنية لنفسها بربريتها الخاصة، ببربرية الحساب الخالص، البارد الجليدي الذي يجهل الوقائع العاطفية المميزة للبشر" (موران، 2007: 5).

وينضاف إلى ذلك ما أسفرت عنه الاكتشافات العلمية من إمكانيات رهيبة وقدرة على التدمير متنامية: "لقد مكّن التقدم العلمي من إنتاج السلاح النووي وهو يؤدي اليوم إلى انتشاره، وانتشار أسلحة أخرى للقتل الجماعي كيميائية وبيولوجية. ونجمت عن التقدم التقني والصناعي سلسلة من الانحطاط في البيئة المحيطة" (موران، 2012: 161-162). ويمكن لموران أن يستخلص من ذلك أن "التطورات العلمية والتقنية والتطورات الحاصلة في الصناعة والاقتصاد والتقنية قد باتت اليوم تغرق المركبة الفضائية للأرض" (موران، 2012: 162).

وكذا الشأن على الصعيد الحضاري، حيث يرى موران أن الحضارة الغربية بالغت في منحها قيمة للعناصر المادية والاقتصادية على حساب أسئلة المعنى: ثمة "أزمة في الحضارة الغربية، فقد أدت هذه الحضارة، بإيثارها جانب التقنية وتغليبها جانب الاقتصاد، إلى خلق فاقة وعوز قد آلا إلى شقاء في إطار من الرفاه المادي" (موران، 2012: 165). ثمة خواء معنوي هو بصدد التنامي في المجتمعات الغربية الحديثة، وهو من أهم المخاطر التي تهدد إنسانية الحضارة الغربية الحديثة. ينضاف إلى ذلك خطر التطرف المتزايد والذي يجعل الغرب والشرق يتصادمان ويتصارعان: "لقد كانت أحداث 11 سبتمبر سببا في ظهور إمبراطوريتين للخير متصارعتين، وإمبراطوريتين للشر ترميان بعضهما البعض بالشيطنة. حقا إنه لا يوجد تماثل بين الديمقراطية والشرعية، ولكن يوجد تماثل بين مانويتين آخذتين في التطرف والاستقواء" (موران، 2012: 167). وفي تقدير موران أن عدم قدرة الغرب والشرق على الوصول إلى سلام دائم هو من العوامل التي تؤدي إلى تنامي العداء بين الأمم وحدوث "تدهور تاريخي" حضاري. وفي هذا السياق يضرب موران بعض الأمثلة عن هذا الصراع: الصراع بين إسرائيل وفلسطين، والتدهور الحاصل في العراق وفي أفغانستان، وتدهور محتمل في باكستان وفي إيران (موران، 2012: 167-168).

4.3 نهاية أسطورة السعادة

لقد "باتت أسطورة السعادة هي الأخرى في أزمة. فقد بدأ الناس اليوم يدركون أنه إذا ظل للمنتجات الإيجابية للسعادة وجود، فستظهر كذلك منتجات صغرى سلبية: التعب والإفراط في استعمال المحركات العقاقيرية النفسية والمخدرات. ثم إن النزعة الفردانية إذ تقوض التكافلات التقليدية تنتج كذلك العزلة وتنتج التعاسة. فإذا المدينة المتألقة تصبح مدينة مجسية بحياتها المعقلنة وأشكال التلوث المهيمنة عليها وكروها. وقد خيل إلينا أن في مقدورنا أن نبني حضارة تنعم بالأمن، لكننا صرنا ندرك في الوقت الحاضر أن هذه الحضارة تخلق مخاطر جديدة بدلا من أن تزيل الخطر الواحد" (موران، 2012: 28-29).

ويعتبر موران أن تنامي عدد الفقراء في العالم وازدياد نسب التهميش هي علامات دالة على حجم البؤس الذي يلف عالم اليوم، فمن "المؤكد أن الجزر الصغيرة للرخاء التي تتكون في البلاد الغربية توازيها مناطق للبؤس تتكون في مدن الصفيح من حول التجمعات السكانية في شتى أنحاء المعمورة. فيحق لنا أن نتحدث عن ارتفاع مهول لمعدل الفقر" (موران، 2012: 162). وما يتحقق في المناطق الصناعية الحديثة، حيث تجاورها مدن الصفيح، ليس دائما العيش السعيد بل البؤس المتنامي: "هذا التقدم ذاته الذي يتحقق في داخل هذه المناطق الصناعية المتقدمة، لا ينتج فقط البحبوحة والعيش السعيد، إنه ينتج بشكل متزايد الضيق والضجر، لا فقط على شكل ضجيج وتلوث تقنو-كروموميتري بيروقراطي يجثم على حياة كل فرد، لكن أيضا على شكل فقر سيكولوجي وأخلاقي وعقلي لحياة الملايين من سكان المدن في الغرب والمستسلمين لأنانيتهم الفردانية" (موران، 2009: 30). فمن بين ضروب البؤس المستشري بين البشر تنامي الفردانية وتراجع التكافل الاجتماعي واستشراء الفساد وتنامي استهلاك المخدرات. وهو ما ينبه إليه موران بقوله: "ينبغي أن نضيف أنواعا أخرى من الشقاء البشري بسبب تفكك أشكال التكافل التقليدية وتفشي الفساد وكل أشكال الجريمة الناجمة عن الفاقة وعن تعاطي المخدرات" (موران، 2012: 162-163).

4. تحولات الحداثة المرتقبة مستقبلا

لقد كشف تشخيص موران لأزمة الحداثة إلى تبين الأساطير التي توجهها، والسؤال الذي يُطرح: ما مصير الإنسانية الحديثة؟ هل أن نزعة التدمير التي تسكن معقولية الحداثة أمر لا مفر منه ولا بديل له؟ يعتبر موران أن الحداثة كروية للعالم تحوي "مسوخا" مثلما تحوي "عجائب". و "السؤال كله يكمن في معرفة هل المسوخ هي التي ستقضي على العجائب، أم العجائب هي التي ستقضي على المسوخ؟" (موران، 2012: 32). ويجب موران عن هذا السؤال من خلال القول بعدم وجود حتمية تاريخية لها اتجاه واحد ومعلوم، بل هو يؤمن بقوة "غير المحتمل": "لقد باتت مسلسلات التراجع والتخريب اليوم أكبر وأعظم

وبات المحتمل تاريخيا. لكن، وكما حدث كثيرا خلال التاريخ فيمكن لغير المحتمل أن يقع" (موران، 2012: 32). وهو يضرب على ذلك مثالين، أولهما أحداث الحرب الكونية الثانية ومآلاتها التي عرفت دحر النازية: "كان المحتمل في سنوات 1940-1941 أن تتحقق هيمنة طويلة الأمد للإمبراطورية الهتلرية على أوروبا. وإن هي إلا بضعة أشهر حتى أصبح غير المحتمل محتملا. وأعتقد أنه ينبغي أن نراهن دوما على غير المحتمل، فإن هذا الأمر ينطوي على ثقة وعلى أمل في بعض القدرات التوالدية لدى الفرد ولدى جماع بني البشر" (موران، 2012: 32). وأما المثال الثاني فهو ولادة الحياة ذاتها على كوكب الأرض: "لنفترض أن ملاحظا من كوكب آخر قدم منذ خمسة مليارات من السنوات إلى كوكبنا وهو سديم، فالمؤكد أنه سيعود أعقابه وهو يحدث نفسه أنه سوف لا يحدث شيء مثير للاهتمام على الأرض، وذلك في الوقت نفسه الذي كانت فيه جزيئات كبرى بصدد تكوين كائنات حية" (موران، 2012: 30-31).

ويستخلص موران من ذلك أن الحداثة تحوي الشيء ونقيضه، ويضرب عديد الأمثلة على ذلك:

- قامت الثورة الفرنسية على انتصار الأنوار وعلى أزمته معا: الانتصار عبرت عنه الرسائل التحريرية لسنة 1789، والأزمة عبرت عنها المقصلة وانتشار العنف بتصفية الخصوم (موران، 2012: 40).
- إن العقل يدفع إلى التطور، والعلم والتربية مصدران للخيرات، ولكن في الوقت الحالي أصبحت هذه البديهيات مصدرا للمشكلات، بما أنها خليط من "الخير والشر" (موران، 2012: 41).
- خلق العلم الفيزيائي التقنيات التي تحقق نوعا من الرفاه للإنسان، ولكنه "ابتكر أيضا السلاح النووي، كما رأينا له صورا في هيروشيما وفي ناغازاكي، وخلق العلم القدرة على إنتاج الموت الجماعي للبشرية" (موران، 2012: 42).
- وكذا الشأن بالنسبة إلى علم الأحياء، فهو قادر على التصرف في الخصائص الجينية للكائن الحي و"تسخيرها لأجل تحقيق الأحسن ولأجل تحقيق الأسوأ على حد السواء" (موران، 2012: 42).
- يمكن لاستعمال التقنية أن يخلق الأفضل كما يخلق الأسوأ (موران، 2012: 42).

وينتج عن ذلك أن التناقضات داخل الحداثة قد بلغت درجة عالية، وهو ما يؤشر إلى وجود إرهاصات تحول: "إن تضادات الحداثة قد بلغت أقصى المبالغ. فقد بات الأمر وكأن ثمة احتضارا بالمعنى الأصلي لهذه الكلمة، أعني صراعا بين قوى الحياة وقوى الموت. ترانا سنصل إلى طور متحول من الحداثة؟ والتحول يعني استمرارا في الهوية وتحولا في الجوهر معا. تلك هي الدودة التي تحولت إلى فراشة بعد أن مرت بطور الغدفة. وقد بدأنا نشهد صيرورات تحويلية"، وهذا لا يعني أن التحول شيء متوقع أو مبرمج (موران، 2012: 30). ومن ثم يؤمن موران بأن النوع الإنساني يحوي داخله إمكانيات للتجدد وللتحول الذاتي خاصة في حال الأزمات: "إن الكائن البشري ينطوي على استعدادات للتحول الذاتي تتنبه في حالات الأزمة" (موران، 2012: 33).

1.4 الحاجة إلى ترميم العقلانية: نحو عقلانية منفتحة

لقد قامت الأنوار في أوروبا على أهمية العقل، كما قامت على فكرة التقدم الخطي والحتي والذي يفضي تدريجيا إلى الرفاه والسعادة. وهي فكرة بين موران محدوديتها. لذلك يؤكد على ضرورة "مجازاة" الأنوار. وليس المقصود بالمجازاة الإقصاء والتخلي وإنما إدماج ما سبق ضمن رؤية أشمل تقوم على فحص ما تحقق ومراجعته نقديا: ينبغي الإقرار إذن "بوجوب تجاوز الأنوار. فينبغي أن نبحث عما بعد الأنوار. وأنا إذ أقول نتجاوز فإنما أريد التجاوز بالمعنى الذي يقصده هيغل بفعل *aufheben*، بمعنى إدماج ما أصبح متجاوزا وإدماج ما يوجد في الأنوار من عناصر صحيحة، لكن أن يكون ذلك الإدماج في شيء آخر مختلف" (موران، 2012: 43-44).

ويدقق موران أكثر عبارة "ما بعد الأنوار" بالتأكيد على النواحي التالية:

- تعني "ما بعد الأنوار" إعادة فحص العقل باتجاه تجاوز العقلانية المجردة التي تعطي الأولوية الكاملة للحساب وللمنطق المجرد.

- تعني أيضا التخلص من العقل التجزيئي الذي يشتت مواضيع المعرفة ولا يكون قادرا على إدراك درجة التعقيد فيها والحاجة إلى فكر مركب.
- كما تعني "ما بعد الأنوار" المعرفة بأمراض العقل، مثل "العقل الأداتي" الذي تحدث عنه أدورنو، ذلك "العقل الذي يسخر لأسوأ مشاريع القتل". وأيضا مجاوزة فكرة العقل الخالص التي قال بها كانط، لأنه لا وجود لعقل خالص بإطلاق بدون شعور.
- تعني "ما بعد الأنوار" أيضا "مد جسور الحوار بين العقلانية والوجدان، ويكون لدينا عقل ممتزج بالشعور، لتكون لدينا عقلانية منفتحة". وهذه العقلانية منفتحة على المختلف: على الغموض والوجدان وغير القابل للعقلنة. أي "أن العقلانية بالنسبة إلى موران منفتحة على شتى الأبعاد الإنسانية" (Ajello, 2005). فعلى العقلانية أن تعترف بأهمية العاطفة والمحبة والندم. والعقلانية الحقيقية تعرف، بتعبير موران، "حدود المنطق والحتمية والنزعة الالائية"، وهي تدرك أن العقل البشري لا يمكنه أن يعرف كل شيء، وأن الواقع يتضمن دائما شيئا من الغموض واللامعقول.
- كما تعني "ما بعد الأنوار" الحاجة إلى "عقلانية مركبة" تواجه التناقضات واللايقين من دون طمسهما، فالكون يظل معقدا دائما ويحوي جوانب من اللايقين والتناقض. وهذه العقلانية المركبة هي التي تدرك المعقد وترتبط بين الأجزاء ضمن رؤية تركيبية لمواضيع المعرفة (موران، 2012: 44-45).

2.4 الحاجة إلى فكر مركب: نحو تدبر التعقيد

من بين الأسباب التي أدت إلى أزمة الحداثة العلمية الحرص على الفصل بين العلوم في شكل تخصصات معزول بعضها عن بعض، في ضرب من "العقلانية الزائفة، أعني العقلانية المجردة ذات البعد الأحادي" (موران، 2012: 55). وفي اعتقاد موران أن الفصل بين التخصصات يؤدي إلى قصور في التفكير وفي حل المشكلات، وذلك لأن "المشكلات متعلقة مع بعضها في الزمان وفي المكان، بينما الأبحاث التخصصية تعزل المشكلات بعضها عن بعض" (موران، 2012: 54). كما أن المعنى السائد للمعرفة العلمية

هو اعتبارها طريقة لإزالة التعقيد داخل الظواهر المدروسة وجعلها واضحة تماماً: "غالبا ما تم تمثيل المعرفة العلمية لمدة طويلة، ولا يزال هذا التمثيل مستمرا حتى الآن، باعتبار أن مهمتها هي تبديد التعقيد الظاهر للظواهر من أجل الكشف عن النظام البسيط الذي تخضع له" (موران، 2004: 9). وفي مقابل هذا التعريف السائد للمعرفة وهذه العقلانية الزائفة والاختزالية، يؤمن موران بوجود "عقلانية حقة" تدرك المعقد والمركب وتحسب حسابا للأسطورة والوجدان كأبعاد للوجود الإنساني المعقد. وهذه "العقلانية الحقة تعرف حدود المنطق وحدود الحتمية وحدود الالية، وتعرف أن الفكر البشري لن يكون كلي العلم وأن الواقع ينطوي على أسرار وألغاز. والعقلانية الحقة تتدبر غير المعقلن والغامض وغير القابل للعقلنة" (موران، 2012: 57). وعليه ينبغي عدم اختزال العقلانية في ذلك المعنى التقليدي الذي يقرنها بشكلاية تجريبية أو رياضية صارمة تفصل المواضيع بعضها عن بعض، وتلغي كل ما هو غير قابل لأن يدرك وفق النماذج المعدة سلفا، بل ينبغي توسيع دائرة العقلانية لتكون إدراكا للمركب وتدبرا لما لا يقبل العقلنة بمعناها التقليدي. ذلك ما يسميه موران "بترميم العقلانية" (موران، 2012: 57).

هذه العقلانية الحقة تعطي أهمية للمركب في مستوى الموضوع وفي المستوى المعرفة به. ومن ثم "لا يمكن تصور العلاقة بين الإنسان والطبيعة بطريقة اختزالية ولا بطريقة منفصلة. فالإنسانية كنه كوكبي وحيوي، والكائن الإنساني هو كائن طبيعي وفوق طبيعي معا، ينبغي أن يكون مصدره من الطبيعة الحية والفيزيكية، بيد أنه يصدر عنها ويتميز عنها بالطبيعة والفكر والوعي" (موران، 2012: 59).

والحق أن موران لا ينفي التنوع الحاصل في المعارف العلمية المتعلقة "بالظاهرة البشرية": سواء من جهة البحث في أصل الحياة وفي الحيوانية (علم الأحياء)، أو البحث في الرحم الأرضي للبشر (علوم الأرض)، أو البحث في أصل النوع البشري وتكوينه (ما قبل التاريخ)، أو من جهة تأصل البشر في المحيط الحيوي (علم البيئة) ... إلخ. لكنه يرى أن هذه المعارف ظلت في حالة التشتت والانفصال، والإنسان مجزأ إلى أجزاء

معزول كل منها عن الآخر داخل العلوم الإنسانية: إنها "إضاءات منفصل بعضها عن بعض بمناطق غامضة عميقة تجعلنا لا ندرك الوحدة المعقدة لهويتنا" (موران، 2009: 1/22). ثمة إذن نوع من الفصل ومن الاختزال داخل العلوم المرتبطة بالظاهرة البشرية وذلك تذرعا بمقتضيات التخصص والموضوعية. بل إن بعض المدارس العلمية ترى أكثر من ذلك أن معرفة الإنسان علميا تقتضي إقصاء كل ما هو إنساني باعتباره تعبيراً عن الذاتية. ولكن النتيجة، حسب موران، هي تجريد الإنسان مما هو إنساني: "في الواقع، يمنع مبدأ الاختزال والفصل للذات هيمنا على العلوم، ومن ضمنها العلوم الإنسانية (التي أصبحت نتيجة لذلك لا إنسانية)، التفكير بما هو إنساني. فاستغلت البنيوية هذه المشكلة لصالحها حيث صرح ليفي شتراوس أن هدف العلوم الإنسانية ليس الكشف عن الإنسان بل تفكيكه" (موران، 2009: 1/22). وقد أدى تفكيك الإنسان، حسب موران، إلى القضاء على الأسئلة الجوهرية المتعلقة بالهوية البشرية، وإلى تضيق مجالات الدهشة والفضول إزاء الأسئلة الممكنة المتعلقة بهذه الهوية. ولذلك "يبقى الإنسان هو هذا المجهول ولا سيما اليوم، بفعل العلم السيء أكثر مما هو بسبب الجهل. ومن هنا يأتي التناقض: فكما زادت معرفتنا، قلّ فهمنا للكائن البشري. وبتفكيكنا للكائن البشري نقضي على الدهشة والتساؤل بشأن الهوية البشرية" (موران، 2009: 1/22-23). وتلتقي هذه المقاربة لتشتت المعارف بالظاهرة الإنسانية مع مقاربة مارتن هيدغر لظاهرة التقدم العلمي وتفتيت الإنسان بحسب تنوع الاختصاصات. وقد نبه هيدغر، في "رسالة في النزعة الإنسانية"، إلى ضرورة الحرص على تجنب تضيق مجال فهم الإنسان (هيدغر، 2001: 53-61).

ثمة ضرورة إذن "لترميم التفكير"، إذ "يعتبر إدغار موران أن إصلاح الفكر، في أيامنا هذه، أمر مستعجل" (Knyazeva, 2004). وذلك من خلال التأكيد على البعد الشمولي للتفكير الذي لا يلغي التناقضات في المواضيع المدروسة بل يبقها في صراعها وتكاملها. ذلك ما يسميه موران "فكر المركب" (موران، 2012: 60). وهو "فكر يربط بين ما هو منفك ومقسم، ويحترم المتنوع" (موران، 2012:

(60). وهو أيضا "فكر متعدد الأبعاد، وفكر منظم ونسقي يتصور العلاقة بين الكل والأجزاء" (موران، 2012: 60). وهو كذلك فكر "لا يعزل الموضوع المراد بالدراسة بل ينظر إليه من خلال علاقته الذاتية والبيئية والتنظيمية مع محيطه الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي والطبيعي" (موران، 2012: 60). ومن بين الأمثلة على هذا التركيب أن هوية الإنسان هي في ذات الوقت بيولوجية وسيكولوجية واجتماعية. والواقع الاجتماعي نفسه يتضمن عوامل ديمغرافية، واقتصادية، وتقنية، وسياسية، وإيديولوجية... (موران، 2009: 15).

ثمة حاجة متأكدة إذن لفكر جديد قادر على إدراك التعقيد داخل الظاهرة البشرية: "نحن بحاجة إلى فكر يحاول جمع عناصر التعقيد البشري (البيولوجية والثقافية والاجتماعية والشخصية) وتنظيمها وحقن الإنجازات العلمية في الأنثروبولوجيا" (موران، 2009/1: 23). إنه فكر أنثروبولوجي يستعين بمختلف المعارف المتصلة بالإنسان، وتلتقي فيه هذه المعارف من أجل إدراك شامل ومتكامل للإنسان: "إن مشروعنا هذا بمثابة دمج تأملي لمختلف العلوم المتصلة بالكائن البشري. ولا يتعلق الأمر بإضافة الواحد منها إلى الآخر بل ربط بعضها ببعض" (موران، 2009/1: 23). ولا يختزل موران ضروب المعرفة هذه في العلوم فحسب بل يوسعها أكثر باتجاه الشعر والفنون التي لا يعتبرها وسائل تعبير فقط بقدر ما هي أيضا وسائل معرفة. كما يضيف إليها التفكير الفلسفي الذي يعنى بالإنسان والذي يمكن تغذيته بالمكتسبات العلمية. ومن ثم فإن مقارنة موران لسبل المعرفة بالإنسان تقوم على الإقرار بتعدد الظاهرة الإنسانية وتنوع أبعادها. فالإنسان متأصل في الكون الفيزيائي وفي المحيط الحي، وهو أيضا يحمل ثقافة، وهو الذي خلق الوعي والأسطورة والسحر والطقوس الدينية: "إن الإنسان فيزيائي تماما وميتافيزيقي تماما وبيولوجي تماما وميتابيولوجي تماما" (موران، 2009/1: 62). وبالتالي ثمة حاجة إلى وسائل معرفة مركبة: "يجب أن تكون معرفة الإنسان أكثر علمية، وأكثر فلسفية، وأخيرا أكثر شاعرية" (موران، 2009/1: 24). وهو ما يعني أن

"فكر المركّب" هنا لم يعد يختزل العقلانية في الحساب والكم والتعبير عن العناصر الواقعية المادية فحسب بل أصبح يتضمن بعدا "مثاليا" ووجدانيا أيضا: "إن رؤية موران الشاملة للتركيب والتفكير تصل بشكل واضح العقل بالوجدان، الحكمة والتعاطف، الواقعية والمثالية" (Montuori, 2010). ولذلك فإنه من الخطأ، عندما يتعلق الأمر بدراسة الظواهر الإنسانية، اختزالها في بعد مادي وفي منهج قائم على الحتمية الصارمة وطريقة تجريبية في الدراسة: "إن هدفه هو أن يبين أن منهج العلم التقليدي، ذلك المنهج الميكانيكي والحتي والتبسيطي والاختزالي، والذي يختزل كل شيء في آليات منظمة بواسطة قوانين ثابتة وكونية وضرورية، لا يمكن أن يُستخدم كمنهج وحيد للمعرفة، وخاصة عندما تكون المعارف المدروسة متعلقة بالمجال البشري" (Anselmo, 2018).

3.4 الحاجة إلى تجذير التضامن وتعزيز المواطنة الكوكبية

يعتبر موران أن التعامل مع أزمة الحداثة يستوجب توفير أدوات تساعد على التغلب على المشكلات الأساسية التي تصطدم بها الإنسانية كنتيجة طبيعية لرؤية العالم مثلما تحدت معالمها الرئيسية منذ القرن السادس عشر، ومن بين هذه الأدوات إيجاد سياسة جديدة للبشر والحضارة: "لكي يقتدر المجتمع العالمي على حل مشكلاته الأساسية ومواجهة المخاطر العظمى التي تهدده يفترض به أن تتوفر له سياسة للإنسان وسياسة للحضارة" (موران، 2012: 80).

حيث يدعو موران إلى ضرورة وجود سياسة جديدة للإنسانية من أبرز أهدافها تحقيق التضامن بين البشر: "ستكون المهمة الأشد إلحاحا واستعجالا في سياسة الإنسان هي تحقيق التضامن على كوكب الأرض" (موران، 2012: 78). ويرى موران أنه يمكن للأمم المتحدة أن تقوم بهذا الدور. فعلى الأمم المتحدة أن تعمل على:

- توجيه أموال خاصة إلى الإنسانية المحرومة والمريضة والباءة،
- تقديم أدوية بالمجان لعلاج السيدا والأمراض المعدية،

- تقديم الغذاء للمتعرضين للمجاعات،
- تقديم مساعدات أساسية للمنظمات غير الحكومية التي تعنى بالقضايا الإنسانية (موران، 2012: 78).

حاصل ذلك إذن أنه "يجب خلق تضامن على كوكبنا وإنهاء الحروب والقضاء على حالات اللامساواة الصارخة جدا" (موران، 2005: 85). ولا شك أن تحقيق هذا التضامن بين البشر كوكيبا من شأنه أن يقلل من شعور الفقراء والبؤساء بالجور والظلم حيث يكونون محرومين من الاحترام والاعتبار. وبذلك تحقق سياسة الإنسانية العدالة لهؤلاء: "ستكون سياسة الإنسانية بالضرورة سياسة تحقق العدالة لجميع أولئك، من غير الغربيين، الذين تُنكر عنهم حقوقهم التي يقرّ لهم بها الغرب نفسه" (موران، 2012: 79).

كما يؤكد موران على الحاجة اليوم إلى "سياسة حضارية" من أبرز أهدافها تطوير أفضل ما هو موجود في الحضارة الغربية وترك أسوأ ما فيها، من جهة، وإحداث تكامل بين الحضارات الغربية والشرقية، من جهة أخرى. ذلك أن انفتاح حضارة الغرب على الحضارات الأخرى من شأنه أن يثرىها ويصلح بعض عيوبها، خاصة وأن حضارة الغرب مبنية على الحساب والكم، "فالغرب يزداد معاناة من هيمنة الحساب والتقنية والربح على جميع جوانب الحياة الإنسانية، ويزداد معاناة من هيمنة الكم على الكيف ومن انحطاط جودة الحياة في المدن العملاقة" (موران، 2012: 79).

ويشير موران إلى أن المحركات الأربعة الأساسية لمركبة كوكب الأرض هي العلم والتقنية والصناعة والرأسمالية (الربح). لكن هذه المحركات، على أهميتها، تحتاج إلى توجيه وتحكم حتى لا تتجرد من المقاصد الإنسانية: ينبغي "إخضاع هذه المحركات إلى المراقبة، فسلطان العلم وسلطات التقنية وسلطات الصناعة ينبغي أن تخضع لمراقبة الأخلاق، وهي التي لا يمكن أن نفرض مراقبتها إلا بالسياسة. والاقتصاد لا ينبغي أن يخضع للتقنين فحسب، بل ينبغي أن يصير اقتصادا جمعيًا، يتسع للتعاضديات والجمعيات

والتعاونيات وتبادل الخدمات" (موران، 2012: 80). ويظهر من خلال ذلك أن مقصد موران هو مزيد أنسنة العالم وإيجاد نوع من التحالف بين النجاعة والقيم. ولذلك يرى موران أنه بالإمكان وجود تحول في هذه المحركات: علم جديد وتقنية جديدة يدركان التعقيدات، واقتصاد أكثر عدالة وتضامنا يحدّ بالتالي من مظاهر المغالاة في منطق الربح الرأسمالي: "يمكننا أن نأمل بطبيعة الحال في علم جديد تتحقق له أسباب التطور والإحياء، ويمكننا كذلك أن نذهب إلى الاعتقاد بأن التقنية التي أنتجت الآلات لمنطق آلي خالص...ستخلق آلات أفضل وأكثر إدراكا للتعقيدات، وأن الاقتصاد لن يظل محكوما بقانون المنافسة التي تقوم عليه الليبرالية الجديدة وأن يتيح إمكانيات أخرى من قبيل التجارة العادلة والاقتصاد التضامني" (موران، 2012: 42-43).

إن تعزيز التضامن بين الشعوب وانفتاح الحضارات بعضها على بعض من شأنهما أن ييسرا التقاء البشر رغم اختلافاتهم الثقافية، "فمن السهل أن تتألف الإنسانية وأن تصبح وحدة دون أن تتوقف عن التنوع" (موران، 2009: 46). ولا يكف موران عن دعوته إلى تعزيز "بناء مجتمع عالمي أو تعزيز سلطة الأمم المتحدة. ولا بد من إنشاء برلمان عالمي" (موران، 2005: 86). كما لا يخفي وعيه بصعوبة ذلك بسبب "بلقنة" العالم وتقسيمه إلى دول قومية ذات سيادة، وبسبب انحسار الوعي "بالمواطنة المشتركة" أو المواطنة العالمية. ومع ذلك ينبغي الإقرار أن الأرض تظل هي الوطن-الأم، وأنها بمثابة الرحم، لأن الإنسانية ناتجة عن تطور بيولوجي ولد بنفسه من الأرض، وبالتالي للبشر هوية مشتركة ومصير مشترك (موران، 2005: 86). ومن ثم فإن "لدينا مقومات مواطنة أرضية لم نعيها بعد" (موران، 2005: 87). وهذه المقومات ما انفكت تتوضح أكثر فأكثر بسبب تطور وسائل التواصل التي فتحت المجتمعات بعضها على بعض، وهي بصدد جعل العالم ذاته قرية صغيرة على نحو يسمح بظهور "الإنسانية الكوكبية".

ومع ذلك فإن موران ينبّه إلى أن السبيل نحو تعزيز هذه المواطنة الكوكبية يظل طويلا ومهددا بمخاطر وتهديدات ليس أقلها وجود كيانات إمبريالية تجعل من المجتمع العالمي مجتمعا وحشيا وهمجيا (موران،

2012: 82). بحيث أن "السبيل إلى إنسانية متحضرة ستكون طويلة وغير مأمونة" (موران، 2012: 83). وهو ما يعني أن ولادة هذا الاتحاد الكوكبي حتى وإن تحققت فإنها يمكن أن تشهد انتكاسة إذا لم يتم التحكم في دوافع الهمجية من رغبة لا محدودة في الربح وفي السلطة، وإذا لم يتم إصلاح أنظمة التعليم من أجل الوعي بأهمية المشترك الإنساني. وبالتالي "ستظل البشرية لوقت طويل تتكبد ألم المخاض أو ألم الإجهاض أيا كانت السبيل التي ستلزم نفسها بها. وهكذا فإن المشكلة المبدئية تظل قائمة حتى مع فرضية قيام اتحاد كوكبي، فإذا لم يكن في الإمكان كف المطامح والنهم إلى الربح والعنى عن الفهم والإدراك، وباختصار إذا لم يكن في الإمكان كف الجوانب الأشد انحرافا وهمجية وغريزية في الكائن البشري أو تنظيمها على الأقل، ولم يتهيأ إصلاح للفكر وإصلاح كذلك للكائن البشري نفسه، فإن المجتمع العالمي سيتعرض لكل ما يظل إلى اليوم يعقر وجه التاريخ البشري وتاريخ الإمبراطوريات والأمم بالدم والوحشية" (موران، 2012: 84-85). ولكن موران يؤكد على أن البشرية تحوي جملة من الإمكانيات والقدرات تجعل من كل تحول أمرا ممكنا. فالمجتمع الكوكبي يظهر من صلب الفوضى ذاتها عندما تبلغ ذروتها وينكشف اللامعنى فيها والحاجة إلى ما يتعارض معها. وللبنشيرية هذه القدرة على التحول، والأمر شبيه بالدودة التي تدمر نفسها تدريجيا داخل الشرنقة لتتحول إلى فراشة (موران، 2012: 172). وحاصل ذلك أن الإنسانية قادرة على الأفضل مثلما هي قادرة على الأسوأ. و"هذا يعني أنه ينبغي علينا أن نكون مستعدين للتشاؤم وللتفاؤل. فمن جهة يمكن لنهاية الإنسانية أن تكون وشيكة، ومن جهة أخرى أصبحت ولادة جديدة للإنسانية أمرا ممكنا" (موران، 2009: 68).

5. خاتمة

إن ما يمكن استخلاصه من خلال مقارنة موران لمسألة أزمة الحداثة أن الحداثة كروية للعالم والإنسان قد استندت إلى مجموعة من "الأساطير" ما فتئت تنكشف تدريجيا، وهي أسطورة التحكم في

العالم، وأسطورة التقدم، وأسطورة السعادة. وهي بمثابة الأساطير لأنها ما انفكت تُجلى وجوه التناقض التي تحويها، وكيف أنها قادرة على الأحسن مثلما هي قادرة على الأسوأ. ولعل ما يعبر عن خصوصية مقارنة إدغار موران لأزمة الحداثة تأكيده على أهمية "غير المحتمل" في توجيه المسارات الممكنة للحداثة. حيث أن بلوغ الحداثة أقصى درجات التناقض في مكوناتها يمكن أن يمثل، بالرغم من التحديات، دافعا لحدوث تحولات ممكنة صلب البشرية نحو عقلانية منفتحة تعترف بالمختلف والمعقد، ونحو مزيد من تجذير التضامن وتعزيز المواطنة الكوكبية وانفتاح الحضارات بعضها على بعض. ومن ثم فإن بلوغ الفوضى والتناقضات ذروتها، والتي تأذن بظهور تحول في التاريخ البشري نحو مزيد من التضامن والعقلانية المنفتحة على التعقيد والوجدان والمحبة، يؤشر إلى وجود صراع صلب البشرية ذاتها: إنها "معركة جديدة ورائعة في صلب البشرية نفسها بين الإنسان الحكيم *homo sapiens* والإنسان المعتوه *demens homo* ، فتُسخر العقلانية المنغلقة لخدمة الإنسان المعتوه، ويُسخر الحب لخدمة الإنسان الحكيم" (موران، 2012: 172).

6. المصادر والمراجع

- موران، إدغار (2004)، الفكر والمستقبل، مدخل إلى الفكر المركب، ترجمة أحمد القصور ومنير الحجوجي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء
- موران، إدغار، جان بودريار (2005)، عنف العالم، ترجمة عزيز توما، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية
- موران، إدغار (2007)، ثقافة أوروبا وبربريتها، ترجمة محمد الهلالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء
- موران، إدغار (2009)، إلى أين يسير العالم؟ ترجمة أحمد العلمي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت
- موران، إدغار (2009/1)، النهج، إنسانية البشرية، الهوية البشرية، ترجمة هناء صبحي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي، أبو ظبي
- موران، إدغار (2012)، هل نسير إلى الهاوية؟ ترجمة عبد الرحيم حزل، إفريقيا الشرق، 2012، الدار البيضاء
- ناتاف، إندريه (2005)، الفكر الحر، ترجمة رندة بعث، من إصدارات المدى، المؤسسة العربية للتحديث الفكري، دمشق

-ماركس، كارل وفريدريك أنجلز (1976)، الإيديولوجية الألمانية، ترجمة فؤاد أيوب، دار دمشق، دمشق
هيدغر، مارتن (2001) رسالة في النزعة الإنسانية، ترجمة مينة جلال، مجلة مدارات فلسفية

-Condorcet, (1795) *Esquisse d'un tableau historique des progrès de l'esprit humain*, Paris, Agasse

-Knyazeva, Helena (2004) The complex nonlinear thinking: Edgar Morin's demand of a reform of thinking and the contribution of synergetics, *World Futures*, 60:5-6, 389-405
(<https://www.tandfonline.com/doi/full/10.1080/02604020490471867>)

-Ajello, Antonia Rosetto, (2005) Method of knowledge and the challenges of the planetary society: Edgar Morin 's pedagogical proposal, *World Future*, 61:7, 511-533
(<https://www.tandfonline.com/doi/full/10.1080/02604020500283126>)

-Guénoun, Solange M. (2007) Entretien avec Edgar Morin, *Contemporary French and Francophone Studies*, Vol. 11, No. 2, 159-175

-Montuori, Alfonso (2010) Edgar Morin: A partial introduction, *World Futures*, 60:5-6, 349-355 (<https://www.tandfonline.com/doi/full/10.1080/02604020490468302>)

-Anselmo, Annamaria, (2018) Edgar Morin: From vicious circles to virtuous circles, *World Futures*, 74:2, 68, 68-83
(<https://www.tandfonline.com/doi/full/10.1080/02604027.2017.1357933>)